مؤتمر الآباء الكهنة السَّنوي لإيبارشيَّتي كاليفورنيا وفلوريدا
دير السيِّدة العذراء والقدِّيسة دميانه بأطلنطا بولاية جورجيا
الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة
٢٦-٣١ يناير سنة ٢٠١٥م

صفاتُ ذبيحة الإفخارستيَّا، وفعلُها فينا، بحسب النُّصوص اللِّيتورجيَّة للقُدَّاس الإلهي والمعنى اللاَّهوتي لعبارة: "نُقرِّبُ لكَ ... من الذي لك"

مقدِّمة لابد منها

قبل أن أوردُ على أبوَّتكم صفات ذبيحة الإفخارستيَّا، وفعلها فينا، يلزم أن أُشير إلى ثلاثة بنود أساسيَّة، وهي في الحقيقة موضوعات كبيرة، وقد سبق أن تحدثت عنها غير مرَّة، سواء في مصر، أو هنا في أمريكا.

(١) **البند الأوَّل**: يلزمنا أن نوقن، أنه بحسب فكر آباء الكنيسة وإيمانها، نحن نتناول جسد المسيح الحقيقي في صورة الخُبز، ونتناول دم المسيح الكريم في صورة الخمر. **فحضورُ المسيح في الأسرار، ليس حضوراً مادياً، ولا حضوراً روحياً، بل هو حضور سريٌّ وحقيقيٌّ في آن معاً**. وبحسب اللاَّهوت الآبائي الأرثوذكسي، فإنَّ جسد المسيح "**هو**" هذا الخُبز عينه بعد تقديسه، ودم المسيح الكريم "**هو**" هذا الخمر عينه بعد تقديسه.

فالرَّب حين **أخذ خُبزاً**، شكر وبارك وكسَّر وأعطي التَّلاميذ قائلاً: «خذوا كلُوا **هذا هو جسدي**»، و**أخذ الكأس** وشكر وأعطاهم قائلاً: «خذوا اشربوا ... **هذا هو دمي**» (متى ٢٦:٢٦، ٢٧). «**الخُبز** الذي أنا أعطي **هو جسدي** الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يوحنا ٦:٥١).

وفي قول للعلاَّمة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) في غاية الدِّقة، يقول:
[الخُبزُ المنظور ... يحمل سرَّ الجسد المكسور. والشَّرابُ المنظور يحمل سرَّ الدَّم المسفوك][١].

(٢) **البند الثَّاني**: أنَّ القُدَّاس الإلهي، ليس ذكرى ذهنيَّة للعشاء الأخير، وإلاَّ ينفصلُ فعل ذبيحة الصَّليب عن سرّ الإفخارستيَّا. فنحن لا يمكنُنا أن نفصل بين سرِّ العشاء الأخير الذي قدَّم فيه الرَّب جسدَه المقدَّس لتلاميذه، وبين جسدِه المبذول على الصَّليب في يوم الصَّليب، وبين جسدِه المرفوع على المذبح في سرِّ الإفخارستيَّا. ولا نستطيع أيضاً أن نفرِّق بين الدَّم الكريم الذي قدَّمه الرَّب لتلاميذه في ليلة العشاء الأخير، وبين دمِ الجنب المطعون على خشبة الصَّليب المقدَّسة، وبين دم كأس العهد الجديد على المذبح. ذلك لأنَّ المسيح له المجد، قد أكمل على المستوى السِّري، ما كان سيتحقَّق على المستوي العملي، حتى تصير ذبيحةُ المسيح ذبيحةً واحدة، وفعلُها واحد، لأنها ذبيحةٌ إلهيَّة، لا يحدُّها الزَّمان، أو يحصُرها المكان.

وقول الرَّب لتلاميذه: «اصنعوا هذا لذكري» (لوقا ٢٢:١٩ ؛ ١كورنثوس ١١:٢٤)، أو بحسب نصِّ القُدَّاس الإلهي: "هذا اصنعوه لذكرى" Τοῦτο ποιεῖτε εἰς τὴν ἐμὴν ἀνάμνησιν يلزم أن يُفهم بحسب الكلمة اليونانيَّة ἀνάμνησις (Anamnesis) والتي وإن كانت تعني "تذكاراً أو ذكرى"، إلاَّ أنه ليس تذكاراً ذهنياً كما في جميع اللُّغات الأُخرى، بل تعني: "**استحضارُ حدث ما أمام الله كان قد وقع في الماضي، ولكن ما زال فعله وأثره ممتداً في الزَّمن الحاضر**".

أي أنَّ كلَّ ذكر يختص بالله، هو بالضَّرورة اشتراك في حضوره. لأنَّ الله حاضرٌ في كلِّ زمان ومكان. فعندما نذكر أمراً زمنياً، تكون الذِّكرى له، هي مجرَّد استرجاع لأحداث تختص به، طواها الزَّمن، ولم يبق غير ذكراها. لأنَّ الزَّمن قادرٌ أن

١- عظة ٨٥ على إنجيل متى.

يطوي فيه كلَّ ما هو زمني، لأنه خاضع له. أمَّا ذِكر الإلهيَّات، أو الأمور المختصَّة بالله، فهو شيءٌ يختلف تماماً. لأنَّ الله وما يخصَّه من أفعال وصفات، لا يخضع للزَّمن، ولا يمكن أن يحتويه مكان.

(٣) **البند الثَّالث**: إنَّ كل ما نقوله أو نعظ به، أو نعلِّم به، أو نكتبه، أو نعقده من حلقات دراسيَّة ومؤتمرات وندوات وما أشبه، إذا لم يُترجم عملياً إلى عبادة للرَّب في بيته بكلِّ خشية ورهبة وجلال، يصير كلامُنا، نحاساً يطن، أو صنجاً يرن. ففي الظَّاهر، تكون الكنيسة نشيطةً لا تكُف عن عقد المؤتمرات ذات العناوين البرَّاقة، وفي الباطن، عبادة كنسيَّة ضعيفة، فاقدة للرُّوح، وفاقدة لحضرة حقيقيَّة للرَّب في قلوب المُصلِّين.

والآن بعد هذه المقدِّمة، ندخل إلى موضوعنا الذي نتكلَّم عنه. ويلزم أن ننتبه إلى أننا حين نتكلَّم عن ذبيحة الإفخارستيَّا، فإنَّما نتكلَّم عمَّا يخصُّ خلاصنا، بصفة مباشرة.

أوَّلاً: صفات ذبيحة الإفخارستيَّا بحسب نصوص القُدَّاسات الثَّلاثة الباسيلي والغريغوري والكيرلُّسي

- الإلهيَّة.
- التي أنارت لنا طريقَ الصُّعود إلى السَّماء.
- التي تشتهي الملائكةُ أن تراها[٢].
- التي ذُبحت عن حياة العالم كلِّه.
- التي فتحت لنا طريقَ الدُّخول إلى الحياة.
- التي لغُفران الخطايا.
- التي للتَّطهير والتَّقديس.
- التي للتَّقوى.
- التي للحياة.
- التي للخلاص.
- التي للرَّب.
- التي للعهد الجديد.
- التي ليس دمُ النَّاموس حولَها، ولا برُّ الجسد.
- الجسدُ الإلهي والدَّمُ الحقيقي.
- الجسدُ المقدَّس والدَّمُ الكريم.
- الجسدُ والدَّمُ اللَّذان لخلاصنا.
- الجسدُ والدَّمُ اللَّذان لعمانوئيل إلهنا.
- الجمرة الحقيقيَّة[٣].
- الحقيقيَّة.
- الخيرات غير الموصوفة.
- الرُّوحانيَّة (بمعنى غير الماديَّة).
- السِّرِّيَّة.
- السَّمائيَّة.

٢- بحسب نصِّ صلاة الخضوع للآب سرًّا (ص ٣٩٤ من خولاجي ١٩٠٢م). وعنوان هذه الصَّلاة في النَّص اليوناني للقُدَّاس الباسيلي هو: "صلاة أُخرى للمصريِّين من قُدَّاس مرقس الرَّسول للقُدْسات السَّابق تقديسها، بعد التَّناول من الأسرار المقدَّسة".

٣- يقول الكاهن في صلاة القسمة في القُدَّاس الكيرلُّسي: "وأعطانا هذه **الجمرة الحقيقيَّة** المعطية الحياة للنَّفس والجسد والرُّوح، التي هي الجسد المقدَّس، والدَّم الكريم، اللَّذَين لمسيحك". وقد وردت هذه الصِّفة مرَّة واحدة.

– الطَّاهرة.
– العظيمة.
– العقليَّة.
– القُدسُ والقُدسات.
– الكرمة الحقيقيَّة التي هي الجنبُ الإلهي غيرُ الدَّنس.
– الكريمة.
– المبارَكة، والمملوءة بالبَرَكَة[٤] (فائقةُ البَرَكَة)[٢]. ὑπερευλογημένα
– المحبيَّة.
– المخفيَّة منذ الدُّهور والأجيال.
– المخوفة[٥]. φοβερὰ – ⲑⲩⲥⲓ̀ⲁ ⲉⲧⲟⲓ ⲛ̀ϩⲟϯ
– المعقولة.
– المقدَّسة.
– المكرَّمة.
– المملوءة مجداً.
– النَّاطقة.
– النَّقيَّة.
– خُبزُ الحياة الذي نزل من السَّماء.
– ذات السِّر الخفي.
– سرُّ اللاَّهوت.
– سرُّ جميع الأسرار.
– شجرة الحياة.
– غير الجسميَّة.
– غير الدَّمويَّة.
– غير المائتة.
– غير المرئيَّة من المرئيِّين.
– موهبةُ النِّعمة.

ثانياً: فعل ذبيحة الإفخارستيَّا فينا بحسب نصوص القُدَّاسات الباسيلي والغريغوري والكيرلُّسي

– لإيمان بغير فحص.
– لتجديد النَّفس والجسد والرُّوح.
– لتذكار مجيء الرَّب.
– لتطهيرنا[٢]. ἁγνίσῃς ἡμᾶς πάντας (تطهِّرنا كلَّنا)[٦].
– لتقديس وخلاص أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا.
– لتوحيدنا بالآب[٢]. ἑνώσῃς σαυτῷ (توحِّدنا بك)[٧].

٤– من قِبَل حلول الرُّوح القُدُس عليها.
٥– صلاة الخضوع للآب سرًّا (ص ٣٩٤ من خولاجي ١٩٠٢م)، وصلاة الحجاب الثَّانية في القُدَّاس الكيرلُّسي (ص ٥٦١ من خولاجي ١٩٠٢م).
٦– نقول في القُدَّاس الكيرلُّسي: ''**طهِّر إنساننا الدَّاخلي كطُهر ابنك الوحيد، هذا الذي نضمر أن نأخذه**''.
٧– يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي: [نحن لا نكون في الآب بمثل ما يكون الابن في الآب، لأنَّ الابن لا يشترك في الرُّوح ليصير بواسطته في

- لتؤلِّفنا بمُحب البشر.
- لحراسةٍ وعافيةٍ وفرح.
- لرجاءٍ ثابت.
- لصبرٍ كامل.
- لعدمِ الفساد.
- لغفران الخطايا والآثام.
- لغفران جهالات الشَّعب.
- لغفران سيئات الكاهن وزلاَّته وخطاياه.
- للارتقاء والشِّفاء لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا.
- للاعتراف بقيامة الرَّب.
- للامتلاء من الرُّوح القُدُس[٢].
- للامتلاء من شوق محبَّة الآب الحقيقيَّة[٢].
- للتَّبشير بموت الرَّب.
- للثَّبات في الإيمان المستقيم[٢].
- للجواب أمام المنبر المخوف.
- للحياة الأبديَّة.
- للخلاص.
- للصَّفح عن زلاتنا.
- للمشاركة في سعادة الحياة الأبديَّة.
- للنُّطق بمجد الآب كلَّ حين، بالمسيح يسوع ربِّنا[٢].
- لمجد اسم الله القدُّوس.
- لمحبَّة بغير رياء.
- لمشاركة سعادة الحياة الأبديَّة.
- لنجد بها نصيباً وميراثاً مع كافة القدِّيسين.
- لنصير بها جسداً واحداً وروحاً واحداً.
- لنصير بها شركاء في الجسد[٨] والميراث[٩].

الآب، وهو لا ينال الرُّوح، بل بالحري هو الذي يعطيه للجميع. والرُّوح القُدُس لا يربط الكلمة بالآب، بل بالحري الرُّوح يأخذ ممَّا للكلمة. والابن كائن في الآب، لكونه كلمتَه الخاص وبهاءه. أمَّا نحن، فبدون الرُّوح القُدُس نكون غرباء وبعيدين عن الله، ولكنَّنا بشركة الرُّوح القُدُس، نصير أقرباء لله، حتى أنَّ وجودَنا في الآب هو ليس منَّا، بل هو خاصٌّ بالرُّوح الموجود فينا، والذى يسكن فينا، ونحن نحتفظ به في داخلنا عن طريق الإقرار كما يقول يوحنَّا «من اعترف أنَّ يسوعَ هو ابنُ الله، فالله يسكن فيه وهو في الله» (١يوحنَّا ٤:١٥)] (ضدَّ الأريوسيِّين ٣:٢٤).

٨- انظر: أفسس ٣:٦

يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير: [**إن كنَّا كلُّنا شركاءَ في الجسد، بعضُنا مع بعض في المسيح، وليس فقط بعضنا مع بعض، بل ومعه أيضاً، إذ هو فينا بجسده الخاص؛ فكيف لا نكون كلُّنا منذ الآن واحداً بوضوح، بعضُنا مع بعض وفي المسيح؟ فإنَّ المسيح هو رباط الوحدة، بسبب كونه في نفس الوقت إلهاً وإنساناً**] (تفسير إنجيل يوحنَّا ١٧: ٢٠ و٢١).

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير أيضاً: [قد صرنا جسداً واحداً معه σύσσωμοι بالبركة السَّرائريَّة (أي بالإفخارستيَّا)، بل وصرنا متَّحدين معه من وجه آخر أيضاً، لأننا صرنا شركاءَ طبيعته الإلهيَّة بواسطة الرُّوح الذي يسكن في نفوس القدِّيسين. وكما يقول يوحنَّا الطُّوباوي: «بهذا نعلم أنه فينا، من الرُّوح الذي أعطانا» (١يو ٣: ٢٤)، إذاً فقد صار هو حياتَنا وبرَّنا] (جلافيرا على التَّكوين: الكتاب الأوَّل).

٩- نقرأ: «إنَّ الرُّوح يشهد لأرواحنا أننا أولادُ الله. فإن كنَّا أولاداً فإننا ورثةٌ أيضاً، ورثةُ الله ووارثون مع المسيح» (رومية ٨:١٦، ١٧) لماذا؟ لأنَّ المسيح البكر، يتحتَّم أن يكون وارثاً لأبيه. ولأننا صرنا أولادَ الله بالمسيح، فقد صرنا أيضاً شركاء بكوريَّته لله، وشركاءَ ميراثه. لهذا سمِّى المفديُّون باعتبارهم الكنيسة: ''كنيسة الأبكار''، و«كنيسة أبكار مكتوبين في السَّموات» كقول بولس الرَّسول (عبرانيِّين ١٢:٢٣).

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير أيضاً: [المسيح هو أوَّل البشريَّة (الجديدة)، وأصلٌ وباكورة للذين تتغيَّر طبيعتهم بالرُّوح القُدُس إلى جدَّة الحياة.

– لنصير بها شركاء في الشَّكل[١٠].
– لنصير بها شركاءَ في خلافة المسيح.
– لنصير بها واحداً مع الله إلى الانقضاء[١١].

ثالثاً: المعنى اللاَّهوتي لعبارة: "نُقرِّب لك ... من الذي لك"

القُدَّاس الكيرلُّسي: "فالآن يا الله الآب ضابط الكُل، فيما نحن نبشِّر بموت ابنك الوحيد، ربِّنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلِّنا يسوع المسيح، ونعترف بقيامته المقدَّسة، وصعوده إلى السَّموات، وجلوسه عن يمينك أيها الآب، وننتظر ظهورَه الثَّاني الآتي من السَّموات، المخوف، المملوء مجداً، في انقضاء هذا الدَّهر، هذا الذي يأتي فيه، ليدين المسكونة بالعدل، ويعطي كلَّ واحد كأعماله، إن كانت خيراً أم شراً ... **أنت الذي وضعنا أمام مجدك القدُّوس، قرابينك ممَّا لك يا أبانا القدُّوس** ...".

القُدَّاس الباسيلي: "ففيما نحن أيضاً نصنع ذكر آلامه المقدَّسة، وقيامته من بين الأموات، وصعوده إلى السَّموات، وجلوسه عن يمينك أيها الآب، وظهوره الثَّاني الآتي من السَّموات، المخوف المملوء مجداً. **نقرِّب لك قرابينك من الذي لك**، على كلِّ حال، ومن أجل كلِّ حال، وفي كلِّ حال".

القُدَّاس الغريغوري: "فإذاً يا سيِّدنا، فيما نحن نصنع ذكر نزولك على الأرض، وموتك المحيي، وقبرك ثلاثة أيام، وقيامتك من بين الأموات، وصعودك إلى السَّموات، وجلوسك على يمينك أبيك، وظهورك الثَّاني الآتي من السَّموات، المخوف المملوء مجداً، **نقرِّب لك قرابينك من الذي لك** على كلِّ حال ومن أجل كلِّ حال، وفي كلِّ حال".

إنّ الصِّيغة اللِّيتورجيَّة "نقدِّم لك ... من الذي لك"، هي صيغة قديمة جداً، نجدها في أقوال القدِّيس إيريناؤس (١٣٠–٢٠٠م)، أي منذ القرن الثَّاني الميلادي. فعند حديثه عن عقيدة قيامة الموتى في اليَوم الأخير، يقول:

> [كيف يقولون إنَّ ذاك الجسد الذي اغتذى من جسد الرَّب ودمه، يصير إلى الفساد ولا ينال الحياة؟ إذاً فليعدلوا عن رأيهم، أو فليكفُّوا عن الذَّبيحة! أمَّا نحنُ فإنَّ عقيدتنا (بقيامة الأموات) تتَّفق مع الإفخارستيَّا، والإفخارستيَّا بدورها تؤكِّد صحَّة عقيدتِنا. **لأننا نقدّم لله من الذي له**. وتبعاً لذلك نعترف بالشَّركة والاتحاد بين

فهو منذ الآن، ينقل إلى كلِّ الجنس البشري – بواسطة الشَّركة معه وبالنِّعمة – عدم فساد جسده وثبات لاهوته. ولَمَّا عَلِم ذلك بولس الإلهي، كَتَبَ قائلاً: «كما لبسنا صورة التُّرابي، سنلبس أيضاً صورة السَّماوي» (١كورنثوس ١٥: ٤٩)] (في تجسُّد الوحيد).

١٠– يقول القدِّيس غريغوريوس النَّزينزي (٣٢٩–٣٨٩م): [كنتُ شريكاً في صورته، ولم أحافظ على الصُّورة. والآن قد اشترك في جسدي، ليُجدِّد فيَّ هذه الصُّورة، بل ويجعل جسدي أيضاً خالداً. فقد أعطاني شركةً معه أعجبَ جداً من الشَّركة الأولى. ففي القديم أشركني فيما هو أفضل مني (أي صورته ومثاله)؛ وأمَّا الآن فقد اشترك هو في أردأ ما فيَّ (ليُخلِّصَني منه)، وهذا العمل الأخير يُظهِر صلاحَه الإلهي بطريقة أسمى جدًّا، من العمل الأول لدى ذوي الفهم!] (عظة ٤٥: ٩ *NPNF*, 2nd Ser., vol. VII, p. 426).

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير: [باعتبار (الرُّوح القُدُس) إلهاً ومنبثقاً من الله، فهو يطبع نفسه – بطريقة غير منظورة – في قلوب الذين يقبلونه، كما يُطبع الختم نفسه في شمع. فهو بواسطة الشَّركة معه والمشابهة به، يُعيد رسم طبيعتنا بحسب جمال المثال الأصلي، ويجعل الإنسان مرَّة أُخرى على صورة الله] (كتاب الكنز في الثَّالوث ٣٤).

ويقول القدِّيس كيرلُّس أيضاً في قول مهم له: [كان مستحيلاً علينا نحن الذين سقطنا من رُتبتنا بسبب المعصية الأُولى، أن نعود إلى مجدِنا الأوَّل، إلاَّ بحصولنا على شركة لا يُنطَق بها مع الله والاتحاد به ... ولكن **لا يستطيع أحد أن يصل إلى الاتحاد بالله إلا بشركة الرُّوح القُدُس، الذي يبُثُّ فينا قداسته الخاصة، ويُعيد تشكيل طبيعتنا التي فسدت إلى شكل حياته الخاصة** ... وهكذا يَرجع إلى الله وإلى التَّشبُّه μόρφωσιν به، أولئك الذين "أعوزهم ذلك المجد" (انظر رومية ٣: ٢٣)] (تفسير إنجيل يوحنَّا ١٧: ٢٠، ٢١ *Pusey* & *TLG* 2.730.30-731.8).

١١– نقول في القُدَّاس الباسيلي: "اجعلنا أهلاً بغير وقوع في دينونة، أن نتناول من جسدك المقدَّس ودمك الكريم، **وليصيرنا تناولنا من أسرارك المقدَّسة واحداً معك إلى الانقضاء، وباركنا**".

ونقول في القُدَّاس المرقسي: "يا اللهُ الذي أحبَّنا هكذا، وأنعم لنا برُتبة البنوَّة، لكي نُدعى أبناءُ الله، **ونحن الوارثون لك يا الله الآب، وشركاء في ميراث مسيحك**. أمل أذنك ياربُّ واسمعنا نحن الخاضعين لك. **طهِّر إنساننا الدَّاخلي كطُهر ابنك الوحيد، هذا الذي نضمر أن نأخذه**".

الجسد والروح][١٢].

فماذا تعني هذه الصِّيغة؟

كانت هذه الصيغة في بداية الأمر، مختصرة، كما جاءت في كلام القدِّيس بولس الرَّسول: «لأنَّ كلَّ مرَّة تأكلون من هذا الخُبز، وتشربون من هذه الكأس، **تُخبرون بموت الرَّب**» وهو الأصل الأوَّل للتَّذكار.

ومع التَّطوُّر اللِّيتورجي الذي طرأ على النَّص الإفخارستي، أُضيف إلى موت الرَّب، فعل القيامة أيضاً، فصار النَّص: ''تبشِّرون بموتي، وتعترفون بقيامتي، وتذكرونني إلى أن أجيء''. ثمَّ زيد فعل الصُّعود في مرد الشَّعب: ''بموتك يا ربُّ نبشِّر وبقيامتك المقدَّسة وصعودك إلى السَّموات نعترف''. ثمَّ كان التَّطوُّر الأخير في هذه الجزئيَّة حين أضيف على قول الكاهن: ''ففيما نحن نصنع ذكر آلامه المقدَّسة''، أفعال: القيامة، والصُّعود، والجلوس عن يمين الآب، والمجيء الثَّاني.

ومن ثمَّ، كان النَّص اللِّيتورجي القديم هو: ''ففيما نحن أيضاً نصنع ذكر آلامه المقدَّسة ... نُقدِّم لك قرابينك من الذي لك ...''. أي أننا نقدِّم للآب ذبيحة ابنه الوحيد. أي جسد ودم عمانوئيل إلهنا، وهو الجسد الذي أخذه من العذراء، وهي واحدة منَّا. ولكن لأنه جسد متَّحد بكلِّ مجد وملء اللاَّهوت، فالذَّبيحة إلهيَّة حقيقيَّة عقليَّة ناطقة سمائيَّة غير دمويَّة، ذبيحة من طبيعة الله نفسه. ذبيحة ذات قيمة لانهائيَّة في غفران خطايا العالم كلِّه. «أسلم نفسه لأجلنا قُرباناً وذبيحةً لله، رائحةً طيِّبة» (أفسس ٥:٢). فنحن نقرِّب لله الآب قرابين، هي من طبيعة نفسه، لأنها ذبيحة ابنه الوحيد. فالآب قدَّم لنا ابنه الوحيد، مذبوحاً عن حياتنا، لأنه أحبَّنا إلى المنتهى، ونحن نُقدِّم للآب نفس هذه الذَّبيحة عينها، أي نقدِّم له قرابين، من الذي له.

لقد كُنَّا كلُّنا في المسيح، حين قدَّم المسيح ذاته ذبيحةً عنَّا ومن أجلنا إلى الآب ''رفع قدِّيسيه إلى العُلى معه، أعطاهم قرباناً لأبيه''. هذه هي الذَّبيحة التي نقدِّمها نحن، أي نقدِّم ذبيحة الابن إلى الآب ''أنت الذي أعطيتني هذه الخدمة المملوءة سرًّا. أعطيتني إصعاد جسدك بخُبز وخمر ... الخ''.

وحين يقارن القدِّيس بولس الرَّسول بين ذبائح العهد القديم ودم المسيح، يقول: «فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي **بروح أزلي** قدَّم نفسه لله بلا عيب، يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي» (عب٩: ١٤).

فما الذي تعنيه عبارة «بروح أزلي»؟

تعني أنَّ حبَّ المسيح الذي قدَّمه على الصَّليب للآب ومن أجل الكنيسة في الزَّمن، هو فعل متَّصل بحبِّه الأزلي الكائن بينه وبين الآب قبل تأسيس العالم، ذلك الحب الذي أشار إليه المسيح بقوله للآب: «لأنك أحببتني قبل تأسيس العالم» (يو١٧: ٢٤).

فالحبُّ اللاَّنهائي بين الآب والابن، والابن والآب، من قبل تأسيس العالم، رأيناه في ذبيحة الصَّليب. كقول بطرس الرَّسول: «عالمين أنكم افتُديتم ... بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، **دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد ظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم**. أنتم الذين به، تؤمنون بالله الذي أقامه من الأموات، وأعطاه مجداً ...» (١بطرس ١:١٨-٢١). هذه هي ذبيحة الصَّليب ذات القيمة اللاَّنهائيَّة لأنها ذبيحة إلهيَّة. وهذا الحب اللاَّنهائي نراه بعينه في ذبيحة الإفخارستيَّا، حيث تقول صلاة شُكر بعد التَّناول في القُدَّاس الكيرلُّسي: ''أنعمت لنا بالحريَّة، وأعطيتنا من هذا الطَّعام غير المائت السَّمائي، **وأظهرت لنا كلَّ هذا السِّر المُخفي منذ الدُّهور والأجيال، لكي تَظهر الآن للرؤساء والسَّلاطين في السَّماويَّات، من قِبَل الكنيسة، حكمتَكَ المتنوِّعة**''.

وهكذا نُقرِّب للآب ذبيحةً، من الذي له، لأنها هي ذبيحة ابنه. هذه هي ذبيحة الإفخارستيَّا ذات الشَّفاعة اللاَّنهائيَّة التي تحوي فيها كلّ الكنيسة بكلِّ طغماتها السَّمائيَّة والأرضية، وبالأكثر المملوءة مجداً العذراء كلَّ حين، والدة الإله القدِّيسة الطَّاهرة مريم. كما نُصلِّي قائلين: ''الذي ثبَّت قيامَ صفوف غير المتجسِّدين في البشر. الذي أعطي الذين على الأرض تسبيح السِّيرافيم. اقبل منَّا أصواتنا مع غير المرئيِّين. احسبنا مع القوَّات السَّمائيَّة''.

١٢- ضدَّ الهراطقة ٤: ١٨: ٥

في الختام:

"أيَّةُ بَرَكَة، وأيُّ تسبيح، وأيُّ شُكر، نستطيع أن نكافئك به يا الله محب البشر. لأنك فيما نحن مطروحون لحُكم الموت، ومغموسون في حُفرة خطايانا، أنعمت لنا بالحريَّة، وأعطيتنا من هذا الطَّعام غير المائت السَّمائي، وأظهرت لنا كلَّ هذا السِّر المُخفي منذ الدُّهور والأجيال، لكي تظهر الآن للرُّؤساء والسَّلاطين في السَّماويَّات من قِبَل الكنيسة، حكمتَكَ المتنوعِّة. يا الله الذي يدبِّر أعمالَنا بحكمة، وأكثر من الحدِّ الذي نستطيع أن ندركه. ما هذه الرأفةُ كلُّها، وما هذا الاهتمامُ العظيمُ الذي لأبوَّتك، وما هذه اللُّجَّة التي لصلاحك. بالحقيقة أنت الذي ينبغي لك كلُّ المجد والعظمة والعزَّة والسُّلطان قبل كلِّ الدُّهور، أيها الآب والابن والرُّوح القُدُس، الآن وكلّ أوان ... الخ" (صلاة شكر بعد التَّناول من القُدَّاس الكيرلُّسي).